العرب
الأربعاء 2020/04/01
السنة 42 العدد 11664

كيف ستواجه السينما زمن الوباء؟

خوف مُتنام من نهاية تعيسة لأعظم وسيلة تخاطب إنساني

السجادة الحمراء تفقد نجومها

السؤال الذي يطرحه الكثير من المهتمين بالسينما هذه الأيام هو: كيف ستصبح علاقتنا بالسينما في زمن كورونا وما بعده؟ أي في هذه الأوقات الصعبة التي أرغمنا ذلك الانتشار الهائل للفايروس القاتل على البقاء في بيوتنا لا نغادرها سوى للضرورة القصوى؟ هل ستظل علاقتنا بدور السينما، أي بمشاهدة الأفلام على الشاشة الكبيرة، قائمة، أو بالأحرى هل ستكون قابلة للاستمرار؟

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

لا شك أن الرابح الأكبر في معركة كورونا هو شبكات البث الرقمي مثل نتفليكس وأمازون وديزني وغيرها، فقد أصبحت مشاهدة الأفلام عبر هذه الشبكات على شاشة التلفزيون، هي البديل المريح أو الوحيد، السهل والمأمون حاليا. خاصة في ظل المنافسة الشرسة التي اندلعت بين هذه الشبكات التي تتبارى في الاستئثار بعرض المسلسلات والأفلام الجديدة الجذابة، التي تحصل على تمويل كبير من جانب تلك الشبكات العملاقة التي يشترك فيها عشرات الملايين في العالم، وهو تمويل تعجز عن تقديمه شركات الإنتاج السينمائي التقليدية، داخل هوليوود أو خارجها.

سيخسر الجمهور دون شك متعة التواجد معا داخل صالات السينما، والإحساس الجمعي المشترك بروح الفيلم السينمائي، وهو شكل التواصل الذي اعتاد عليه الجمهور منذ ظهور السينما حتى اليوم.

خسائر بالجملة

ستخسر دور السينما وشبكات العرض المنتشرة في العالم التي تمكنّت من الصمود طويلا أمام كل التحديات التي واجهتها منذ ظهور منافسها الشرس، التلفزيون في الخمسينات وانتشاره الكبير في السبعينات وما بعدها، ثم ظهور الفيديو ثم الاسطوانات المدمجة وأقراص البلو راي مع تعدّد الشبكات التي تبثّ بواسطة الكابلات وغير ذلك. إلاّ أن التحديات التي فرضها ظهور شبكات البث الرقمي ربما لن تقدر عليها دور العرض التقليدية في زمن كورونا وما بعده.

مهرجانات السينما التي تعتبر البوابة الرئيسية التي تطرح من خلالها الأفلام الجديدة في أسواق السينما العالمية، أصبحت تعاني من عدم وضوح الرؤية. فما هو مصيرها؟

أميل شخصيا إلى الاعتقاد أن جميع المهرجانات الكبرى المعروفة في العالم مثل كان وفينيسيا وكارلو فيفاري ولوكارنو ولندن ونيويورك وموسكو، لن تقام هذا العام. فقد أصبح 2020 عام كورونا، وأصبح التواجد جنبا إلى جنب مع جمهور غريب وأفراد قادمين من كل مكان في العالم، داخل قاعات العرض في المهرجانات السينمائية الدولية يضيف رعبا مضاعفا. خاصة مع التلامس الجسدي الذي لا مفرّ منه بسبب الزحام الكبير، ولم يكن غريبا أن يصف ناقد مخضرم من نقاد مجلة "فاريتي" الشهيرة مهرجانات السينما مؤخرا بأنها "صناديق ساخنة للجراثيم".

> ما العمل في حالة انتشار الوباء مُجدّدا في مهرجان مثل كان أو البندقية أو برلين، بسبب الزحام الكبير داخل قاعات العرض؟

تقديرات العلماء، وليس السياسيين أو الإعلاميين، تقول إن التوصّل إلى لقاح للفايروس القاتل ثم عقار فعّال يقضي عليه، لن يصبح متوفرا قبل 18 شهرا. وحتى بافتراض أنه قد أصبح متوفرا فعملية إنتاج مئات الملايين من العبوات والجرعات الضرورية منه التي تكفي سكان الكرة الأرضية، ستستغرق زمنا طويلا حتى في حال اشتراك عشرات من شركات إنتاج الأدوية في إنتاجه بنفس المواصفات.

وبالتالي سيظل الشك قائما، والسؤال الوجودي مطروحا: هل نغامر ونقيم المهرجان أم نؤجل إقامته مرة أخرى؟ وهل نغامر ونذهب إلى المهرجان أم من الأفضل أن نجلس في بيوتنا ونشاهد الأفلام عبر نتفليكس التي أظن أنها ستقبل على التلويح بإغراءات مالية كبيرة مقابل شراء أحدث الأفلام؟

هناك أيضا شك كبير في أن يقبل نجوم السينما، والمخرجون والمنتجون وغيرهم ممّن يحضرون المهرجانات السينمائية وعددهم بالآلاف، خاصة إذا أضفنا إليهم الصحافيين والنقاد، السفر بالطائرات من الولايات المتحدة ودول جنوب شرق آسيا بل ومن دول أوروبية عريقة في صناعة السينما مثل إسبانيا وإيطاليا، لحضور المهرجانات السينمائية والتواجد وسط الزحام الكبير، علما بأن الطائرات في حد ذاتها، تعتبر من المصادر الأساسية للعدوى. وقد يكون المرض غير واضح على شخص ما يجلس بجوارك، لكنه يظل ناقلا للعدوى. فما العمل في حالة انتشار الوباء مُجدّدا في مهرجان مثل كان أو فينيسيا أو برلين، بسبب الزحام الكبير داخل قاعات العرض؟ وهل سيقدر المسؤولون عن هذه المهرجانات على تحمل المسؤولية خاصة في حالة إذا ما عاد الفيروس للانتشار نتيجة وجود ضيف قادم من إحدى الدول الموبوءة التي لم تبرأ، تماما، بعد؟

الحل في البث الرقمي

لم يعُد هناك مفرّ في رأيي من أن تتحوّل مهرجانات السينما التي تودّ البقاء في دائرة الاهتمام، إلى شبكة الإنترنت، تعرض من خلالها أفلامها على الجمهور الراغب في المشاهدة مقابل دفع مبلغ ما أو قيمة الاشتراك في المهرجان، مع دعوة الصحافيين والنقاد إلى مشاهدات مُحدّدة التوقيت والتاريخ في العروض الصحافية الخاصة حتى يتسنّى لهم الكتابة عن الأفلام. كما يمكن تخصيص بثّ مباشر لأحداث وفعاليات المهرجان مثل المؤتمرات الصحافية مع صنّاع الأفلام والندوات التي تناقش العديد من القضايا، وغير ذلك.

على أن يشاهد أعضاء لجان التحكيم الأفلام من منازلهم دون حاجة إلى السفر والتواجد معا في اجتماعات مغلقة، بل يمكن أن ترتّب تلك الاجتماعات أيضا عبر الشبكة الرقمية، ومن ثم إعلان النتائج.

> الرابح الأكبر في معركة كورونا، دون شك، هو شبكات البث الرقمي مثل نتفليكس وأمازون وديزني وغيرها

دور السينما مغلقة في معظم الدول حاليا باستثناء الصين التي ظهر فيها الفايروس ومنها انتقل إلى العالم، بعد أن استطاعت أن تكبح جماحه، كما تقول. وقد عادت إلى افتتاح مئات من دور العرض التي كانت قد أغلقتها (يا للشجاعة!).. لكنني على أي حال، من أنصار التشكّك في كل ما يصدر عن الصين "الرسمية" كدولة شمولية مغلقة محكومة بسلطة الحزب الواحد وقمع الأمن والجيش.

ومن لا يعرف عليه فقط أن يراجع ما جرى قبل أكثر من ثلاثين عاما في ميدان تيانامن في قلب بكين حينما قمعت الدبابات ثورة الطلاّب وداست على أجسادهم بكل وحشية. ولكن السؤال هو: هل ستستعيد السينما حضورها في حياة الناس مجددا بعد أن تنقشع أزمة وباء كورونا العالمية؟

يراودني شك كبير في عودة الأمور إلى سابق عهدها على كافة الأصعدة، سياسيا واقتصاديا وثقافيا، فلماذا تصبح السينما استثناء من التغيّر المحتوم؟ أظن أن الأشكال الجديدة للمُشاهدة عبر شاشة الهاتف المحول وأجهزة التابليت والكمبيوتر المحمول وأمثالها، ستصبح البديل الفردي لدى ملايين البشر، وستغلق بالتالي آلاف من دور العرض وقاعات السينما الموجودة في المدن، ويبحث صنّاع السينما عن وسائل أخرى للوصول إلى المُشاهدين في بيوتهم، ستكون بالضرورة وسائل أكثر فردية وانعزالا.

ولو حدث هذا بالطبع وأرجو وأتمنى ألاّ يحدث، لأصبحت تلك هي النهاية التعيسة لشكل عظيم من أشكال التخاطب الإنساني عبر ثقافة وفن الفيلم. وسيكون أسوأ وداع لعصر السينما.

معرض «آرت بازل» يلجأ إلى البث الرقمي

الأزمات عادة ما تُخلّف خاسرين وفائزين، وفي ظل الوضع العالمي العام الذي فرض على نصف سكان العالم الحجر الصحي ببيوتهم إثر تفشي فايروس كورونا المُستجد. وجد تجّار الفن في العرض الرقمي ضالتهم لتجنّب الركود الذي أصاب بضاعتهم.

زابينه جلاوبيتس

باريس – عندما تسبّب فايروس كورونا المُستجد في إلغاء معرض "آرت بازل"، وهو أحد أكبر الأحداث الفنية في العالم، قرّر التجّار المعنيون به تجربة حل تكنولوجي، في محاولة لتعويض بعض ما تكبّدوه من خسائر.

لذلك، وعوضا عن إقامة المعرض في "مركز هونغ كونغ للمؤتمرات والمعارض"، الشهر الماضي كما كان مُقرّرا سلفا، هرع الكثيرون من بين أشهر الأسماء في عالم الفن المعاصر، بحثا عن مكان في ما يعتقد أنه سيكون أول معرض بارز في العالم يُقام عبر الفضاء الافتراضي.

وقبل أن ينطلق المعرض بشكل ملائم الأسبوع الماضي، كان تم بيع سبعة من أصل 10 أعمال، في "غرفة العرض" الخاصة بتاجر أميركي اسمه جاجوسيان. وتضم هذه الأعمال، "ذا آذر سايد أوف ذا أويل ستين" لجورج بيلليتز، و"سبلينذر إن ذا جراس" لماري ويذرفورد.

وبشكل إجمالي، شارك في المعرض 235 عارضا، وضم المعرض ألفي عمل، تبلغ قيمتها إجمالا 270 مليون دولار (250 مليون يورو).

ولم يكن الأمر مُذهلا من حيث التصفّح الإلكتروني، ولكن كان هناك مستوى مرتفعا من الاهتمام. وباع التاجر النمساوي تادايوس روباك، عملا من أعمال الفنان جول دي بالينكور، مقابل 140 ألف دولار (127 ألف يورو)، وذلك بعد ساعة واحدة من افتتاح فعاليات المعرض أمام كبار الشخصيات. وكان العمل واحدا من بين العديد من الأعمال التي تمكّن روباك من بيعها.

وقال التاجر، الذي يمتلك صالات عرض في باريس ولندن وسالزبورغ، إن أزمة فايروس كورونا تسبّبت في تراجع التوقّعات، كما لم يتمّ عرض الأعمال الأغلى ثمنا.

وقال روباك إن إقامة المعرض عبر الإنترنت تمثل تطوّرا مثيرا للاهتمام، ولكن قبل كل شيء، هو نوع من أنواع العرض الذي أبقى عالم الفن على تواصل، مضيفا "بعد الساعات الأولى القليلة، أجرينا الكثير من الاتصالات، وخاصة من آسيا".

ورغم النجاح الذي حقّقته مبيعات المعرض، لا يعتقد روباك أن المساحات الافتراضية تصلح بديلا للمعارض الحقيقية، وأوضح "سنعمل دائما على أن نشجّع مُقتني الأعمال الفنية، على رؤية الأعمال الحقيقية".

وعلى سبيل المثال، أبدى أحد العملاء اهتماما كبيرا بعمل للرسام الأميركي روبرت راوشينبرغ، المولود في عام 1925، والذي توفي في عام 2008، يبلغ سعره أكثر من مليون دولار. وقرّر المشتري المحتمل الانتظار حتى انتهاء أزمة كورونا، ليسافر إلى باريس لمشاهدة الصورة بنفسه.

يشار إلى أن معرض روباك في باريس مغلق بسبب الإغلاق العام الذي تفرضه السلطات الفرنسية، حاليا، في سياق مكافحة انتشار فايروس كورونا المُستجد. وكان ديفيد زويرنر من أوائل التجار الذين أقاموا "غرفة عرض" افتراضية في عام 2017.

وتقول إلينا سوبوليفا، مديرة مبيعات الشركة عبر الإنترنت، إن حجم التجارة الإلكترونية زاد بشكل كبير، حيث ارتفع بنسبة 159 في المئة على مدار عام 2018، وبنسبة 400 في المئة في عام 2019.

ومن بين اللوحات التي باعها زويرنر في "معرض فنون بازل هونغ كونغ" الافتراضي، لوحة للفنانة مارلينا دوماس، من جنوب أفريقيا، والتي جرى بيعها مقابل 2.6 مليون يورو.

> «آرت بازل» يلجأ إلى العرض الافتراضي عبر الإنترنت في محاولة لتعويض بعض الخسائر التي تكبدّها تجّار الفن بسبب كورونا

وقالت سوبوليفا إن 40 في المئة من الاستفسارات عن المبيعات كانت من عملاء جدد. ولا تعتقد مديرة مبيعات الشركة أن النموذج الكلاسيكي للمعارض الحقيقية المقامة داخل المباني والمعارض التجارية، مُعرّضة للخطر، حيث ترى في غرف المشاهدة الافتراضية بديلا قابل للتطبيق بالنسبة لهواة جمع الأعمال الفنية، الذين ليس لديهم رغبة في السفر إلى دول أخرى بسبب مخاوف بيئية.

ويشار إلى أن دار روبرت كيتيرير للمزادات الفنية في مدينة ميونخ الألمانية، تجري بالفعل 90 في المئة من مبيعاتها عبر الإنترنت.

وتُقيم كيتيرير مزادات عبر الإنترنت، سجلت نجاحا كبيرا، لأعمال تتراوح قيمتها بين 10 آلاف و40 ألف يورو. وبعدما اضطرت إلى إغلاق صالات العرض الخاصة بها بسبب تفشّي وباء كورونا، واجهت كيتيرير صعوبة أقل في جذب البائعين إلى الفعاليات التي تُقام عبر الإنترنت، ولا يتوقّع إجراء مزادات حقيقية من جديد حتى شهر يونيو أو يوليو، على أقل تقدير.

والأزمات دائما تخلف الفائز والخاسر. وتخشى صالات عرض كثيرة، وخاصة تلك صغيرة ومتوسطة الحجم، على وجودها في باريس ولندن ونيويورك وبرلين.

ويقول فيرنر تامين، وهو صاحب معرض، ورئيس اتحاد معارض برلين، الذي يضم حوالي 70 عضوا، إنه يتوقّع حدوث بعض التعسّر المالي خلال الأشهر المقبلة في حال عدم وجود حماية مالية.

عرض افتراضي أبقى الفن على تواصل مع الجمهور